حكم الحوقلة عند حصول المصيبة
إيضاح وتنبيه

الحمد للّه الذي فتح لعباده أبواب رحمته وشرع لهم من الأعمال والأقوال ما يوصلهم إلى رضوانه وجنته، ويباعدهم عن سخطه ونقمته، وبعدُ:

فإن من أعظم العبادات وأجلها قدرًا وشرفًا ما شرعه اللّه من الأذكار والدعوات الواردة في كتاب اللّه - عزَّ وجلَّ - وفي السنة الصحيحة من أقوال الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومن ذلك قول: (لا حول ولا قوة إلا باللّه)، قال عنها رسول اللّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأبي موسى الأشعري: «يا عبداللّه بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا باللّه»، متفق عليه، زاد النسائي: «لا ملجأ من اللّه إلا إليه». وقد حث النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على الإكثار من قولها مطلقًا في جميع الأوقات والأحوال في أحاديث صحيحة معلومة.

وقد ذكر أهل العلم في معناها أقوالاً متقاربة المعنى كلها تدل على عظمة هذه الكلمة، وأنه لا قدرة لأحد من الخلق على دفع شر، ولا على تحصيل خير، ولا على تحوّل من حال إلى حال إلا باللّه، فهي كلمة جامعة شاملة تدل على كمال التوحيد والتفويض للّه في جميع الأمور والتبرؤ من الحول والقوة، وقد تميزت بوصفها أنها كنز من كنوز الجنة. ولذلك شُرِع للمسلم أن يقولها مطلقًا في جميع الأوقات وفي جميع الأحوال في مناسبة وبدون مناسبة.

وقد اطلعت على كلام لبعض إخواننا من طلبة العلم ـ وفقنا

اللّه وإياهم للعلم النافع والعمل الصالح ـ يقول فيه: إن من الأخطاء الشائعة قول بعض الناس عند المصيبة: (لا حول ولا قوة إلا باللّه)، وعللوا ذلك بأن كلمة الحوقلة استعانة وأن الذي ورد في الآية في هذا الموضع وهو قول: (إنا للّه وإنا إليه راجعون) يعتبر استرجاعًا، ووجه الخطأ عندهم أنه قال كلمة الاستعانة في موضع الاسترجاع.

ولا شك أن المشروع للمؤمن أن يقول عند المصيبة (إنا للّه وإنا إليه راجعون)، كما أرشد اللّه عباده إلى ذلك في قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ (سورة البقرة:١٥٥-١٥٦)، ويقول أيضًا: «اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وأَخْلِفْ لي خَيْرًا مِنْها»، كما أرشد إلى ذلك النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الحديث الذي رواه مسلم (٩١٨).

وللمسلم أن يقول عند المصيبة ما تيسر من الأدعية والأذكار، ومن أهمها وأنفعها قول: (لا حول ولا قوة إلا باللّه) لحاجته الماسة إلى ما تضمنته هذه الكلمة العظيمة من التبرؤ من الحول والقوة، ومن التحول من الضعف والجزع إلى الصبر والاحتساب، وإلى دفع حزن المصيبة وهولها وهمها وغمها. ومعلوم أن هذا المعنى جزء من معانيها الواسعة والشاملة، فالعبد في حاجة إلى قولها في كل أحواله، ومن ذلك عند نزول المصائب والشدائد للاستعانة باللّه على تحملها والصبر عليها، ثم هي مع ذلك كنز من كنوز الجنة، كما في الحديث المتقدم المتفق على صحته، فلا يليق أن يطلق القول بأن قولها عند المصيبة خطأ وأنه في غير محله؛ بل إنها تقال دائمًا في

جميع الأوقات وفي جميع الأحوال في مناسبة وبدون مناسبة لوصية النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالإكثار منها مطلقًا كما هو معلوم. جعلنا الله من المكثرين منها بصدق وإخلاص ويقين العاملين بها على الوجه الذي يرضيه سبحانه ونفعنا بها في الدنيا والآخرة.

وقد استشهد بعض من قال: إن قولها عند المصيبة خطأ، وأنه في غير محله، على قوله هذا، بكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ورد في الجزء العاشر من الفتاوى ص ٦٨٦ - ٦٨٧ قال ابن تيمية - رحمه الله: «قال الشبلي بين يدي الجنيد: لاحول ولا قوة إلا بالله، فقال الجنيد: قولك ذا ضيق صدر، وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية تعليقًا على قول الجنيد: «فإن هذا من أحسن الكلام، وكان الجنيد - رضي الله عنه - سيد الطائفة ومن أحسنهم تعليمًا وتأديبًا وتقويمًا وذلك أن هذه الكلمة كلمة استعانة، لا كلمة استرجاع، وكثير من الناس يقولها عند المصائب بمنزلة الاسترجاع ويقولها جزعًا لا صبرًا، فالجنيد أنكر على الشبلي حاله في سبب قوله لها، إذ كانت حالاً تنافي الرضا، ولو قالها على الوجه المشروع لم ينكر عليه»، انتهى كلام شيخ الإسلام.

والظاهر من قول شيخ الإسلام أن الخطأ في قولها عند المصيبة جزعًا لا صبرًا، أمَّا من قالها مستعينًا بالله على التحول من الجزع ونحوه إلى الصبر والاحتساب ودفع ما يترتب على المصيبة من الهم والغم والحزن؛ فإن قوله لها والحال ما ذكر في محله وموافق

لما شرعه اللّه ورسوله من الأدعية والأذكـار، وليس في كلام شيخ الإسـلام - رحمه اللّه - ما يدل على النهي عن قولها عند حلول المصائب، بل إن ابن تيمية - رحمه اللّه - يقول عن هذه الكلمة ـ ابتداءً ـ كما في الجزء العاشر من فتاواه (ص ١٣٧) في وصيته العامة لكل مسلم بعد كلام سابق: «وليكن هُجّيراه: لا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم؛ فإنها بها تحمل الأثقال وتكابد الأهوال وينال رفيع الأحوال»، ومقتضى هذا الكلام أنها تقال عند المصائب وعند الاستعانة على تحصيل المطالب، وأنها تقال في جميع الأحوال، في مناسبة أو بدون مناسبة.

ولكن بعض الناس أثناء استشهاده بكلام شيخ الإسلام في هذا الموضع نقل أوله وهو قوله: (وذلك أنّ هذه الكلمة كلمة استعانة لا كلمة استرجاع)، ولم ينقل آخره وهو قوله: (وكثير من الناس يقولها عند المصائب... ويقولها جزعًا لا صبرًا)، ومن هنا نشأ عدم الدّقة في فهم كلام شيخ الإسلام في الموضوع.

مع أن قول الجنيد للشبلي: (قولك ذا ضيق صدر...إلخ) هذا القول فيه نظر؛ لأن مجرد قوله: (لا حول ولا قوة إلا باللّه) حال المصيبة لا يدل على أنه قالها جزعًا لا صبرًا، إلا إن كان ظهر ـ للجنيد ـ من حاله ما يدل على ذلك رحمة اللّه على الجميع.

وبذلك يعلم أن قول هذه الكلمة العظيمة: (لا حول ولا قوة إلا باللّه) عند المصائب لا خطأ فيه لعموم الأدلة وشمول معانيها؛ لأنه في حال المصيبة في حاجة إلى الاسترجاع وإلى الاستعانة ولا غنى له

عنهما كما تقدم إيضاحه؛ ولوجوب النصيحة والتنبيه جرى تحريره.

وفق الله الجميع للفقه في دينه ومعرفة الحق بدليله والثبات عليه، إنه سبحانه جواد كريم، لا إله لنا غيره ولا رب لنا سواه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء الرئيس العام للبحوث العلمية والإفتاء